بل الذي يقوي المبادي السامية ويكثر الفضائل . المال خير الا اذا كان الحصول عليه لا يتيسر بغير العبث بالشرائع وقتل الوجدان فاذ ذاك يصير شرما يتهدد الفرد والامة

وخلاصة القول ان الخوف على فناء البلدان والممالك واضمحلال الشعوب وتأخرها لا يجب ان يكون من حدوث الاختلال والشرور فهذه ملازمة للعمران حتى يبلغ درجة الكمال انما الخوف كل الخوف متى استحكم الفساد ولا من يستأصله متى ضرب الشر اطنابه وليس من يجرد عليه سلاح الحرب والمقاومة فكيف نخاف على حياة امة لا يظهر فيها فساد حتى تجد من يقاتله بغيرة وثبات كيف نخاف على مستقبل هذا الشعب الاميركي وممثل اسمى صفاته هو ثيودور روزفلت الذي اذا نادى ودعا الشعب لمساعدته في خدمة الحق ومحاربة الاثم سمع الناس نداءه لانهم احياء فقاموا يعضدونه في جهاده . وعلى الجملة فان الحرب قائمة بين الحق والباطل وان الآمال عظيمة بفوز الحق والعدالة اذ لم يرَ الى الآن ان قائد الحق روزفلت خاب في موقعة منذ بدأ في حربه الشريفة لتأييد النظام والعدل .

ولله درّ جون مورلي السياسي الاميركي الشهير الذي قال بعد ان زار الولايات المتحدة منذ عهد قريب رأيت في اميركا مظهرين عظيمين للطبيعة شلالات نياغرا وثيودور روزفلت بروفيدنس (الولايات المتحدة) شحادة شحادة

اليونان

ابطالهم

البطل — البطل في بلاد اليونان رجل معروف يغدو بعد موته روحاً ذات سلطان ولا اثم له الربوبية بل ينال منها نصفها فمن ثم لا يسكن الابطال في الاولمب سيئ سمعة الارباب ولا يديرون شؤون العالم اجمع ولهم مع هذا ايضاً سلطة فوق كل سلطة بشرية يغيثون بها احبابهم ويهلكون اعداءهم . ولذا عبدهم اليونان عبادتهم للارباب واستغاثوا بهم وتضرعوا اليهم . وما من مدينة او قبيلة او أسرة الا وها بطل خاص بها وهو عبارة عن اشباح متخيلة تحميها فتعبدها وتتقدم اليها بانواع القربان .

ضروب الابطال — ومن هؤلاء الابطال فئة اشتهرت في الاساطير وعدت من الاعيان مثل اشيل واوليس وامثالهم ولا شك في ان بعضهم لا حقيقة لهم قط مثل هيراكليس وادب . وليس بعضهم إلا اسماء لا مسميات لها مثل هيلين وديوروس وعوس

غير ان عبدتهم ينظرون اليهم نظارهم الى اشخاص قدماء وقد عاش معظم هذه الارباب وبعضهم من الاعيان قد ذكرهم التاريخ وكانت لهم اعمالهم مثل ليونيداس وليزاندر وكانا من القوّاد وديمقراط وارسطو وكانا فيلسوفين وليكورك وصولون وكانا مشرعين . وعبد اهل مدينة كروتون احد مواطنيهم فيليس لانه كان اجمل اهل زمانه في بلاد اليونان . وكان الزعيم الذي يقود الطواري، ويؤسس مدينة يعد بين السكان البطل المؤسس فيقيمون له معبداً ويتقرّبون اليه كل عام بانواع النذور والقربات . وهكذا كان ملتياديس الآثيني يعبد في مدينة من اعمال تراسيا وبراز يداس الاسبارطي الذي قتل في دفاعه عن امفيبوليس كما يعبد في هذه المدينة اذ اعتبره السكان مؤسساً لبلدهم .

حضور الابطال — يظل البطل ساكناً في البلد التي دفن فيها جسده سواء كان في قبره او في الجوار . وقد وصف هيرودتس هذا المعتقد فكانت مدينة سيسيون تعبد البطل ادراتس فاقامت في الساحة العامة مصلى اكراماً له . ولقد ارتأى كليستين جبار سيسيون ان يتخلص من هذا البطل فراح يسأل هاتف دلفيس عما اذا كان يفلح في طرد ادراتس . فاجابه الهاتف بقوله : ان ادراتس كان ملك السيسونيين وانه لعن وقاطع طريق فلما لم يستطع كليستين ان يطرد ذلك البطل عمد الى الحيلة فبعث الى ثيبة يبحث عن عظام بطل آخر اسمه ميلانيبس وجعلها في مقبرة المدينة باحتفال حافل . قال هيرودتس انه عمل كذلك لان ميلانيبس كان من ألدّ اعداء ادراتس قتل له صهره واخاه . ثم جعل تلك الاعياد والنذور تقدم الى ميلانيبس بعد ان كانت تقدّم الى ادراتس زمناً وراح يقنع وسائر اليونانيين ان البطل المتناظير كن الى الفرار .

مداخلة الابطال — للابطال قوّة الاهية ففي وسعهم كما في وسع الارباب ان يفعلوا الخير والشرّ كما يشاءون . ولقد اخطأ الشاعر ستيزيشور في كلامه على هيلانة المشهورة (تلك التي جيء بها الى طروادة على نحو ما ورد في الاساطير) فكف بصره للحال حتى اذا رجع عن كلامه عاد بصيراً . ويزعمون ان هيلانة صارت نصف ربة بعد موتها فارسلت للشاعر بالداء بادي، بدء ثم اتبعته بالدواء . ويدعون ان الابطال الحامية لبلد تدفع عنها الادواء والمجاعة وتذب عن حياضها من غارة الاعداء . وقد زعم الجند الآثيني انهم رأوا بين صفوفهم في حرب ماراثون تيزيه بطل آثينة ومؤسسها وقد تدجج بسلاح لامع في حرب سلامينة وظهر البطلان اجاكس وتيلامون اللذان كانا فيما مضى ملكي جزيرة سلامينة في اعلى ذروة منها باسطين ذراعيهما نحو الاسطول اليوناني . قال تيوكلس (وما قهرنا الفرس اذ قهرناهم ولكن الارباب والابطال قهروهم) وفي احدى روايات سوفقلس

(اديب الى تولون) بينما كان اديب مشرفاً على الموت زاره ملك آثينة وملك ثيبة واراده كلاهما على الرضا بترك جثته تدفن في ارضهما ليكون بطلاً حامياً لها فاجاب طلبهم في ان يدفن في بلاد الآثينيين وقال لملوكهم : اني لا اكون بعد موتي خالياً من النفع في هذا القطر بل اكون ركناً ركيناً لا تقاوبه الوف الالوف من المحاربين . وكان يرى ان بطلاً واحداً يساوي جيشاً برمته و يرهب بأس هذا الشيخ ولا رهبة الاحياء اجمعين .

العبادة

بدء عبادة الارباب — كان الارباب والابطال على ما لهما من الحول والطول ينشرون في الناس جماع الخيرات والسيئات كما يشاءون فكان من الخطر ان يكونوا على المرء إلباً ومن العقل ان يكونوا واياه يداً واحدة . ولقد ذهب القوم الى انهم كانوا اشبه بالبشر يسخطون اذا تركوا وشأنهم و يرضون اذا عني بهم . وعلى هذا الفكر نشأت العبادة فكانت عبارة عن اتيان صالح الاعمال مع الارباب لنيل رضاهم . وقد صرح افلاطون بالرأي العام كما يلي قال : (ان الاضطلاع بالقول والقيام بصالح الاعمال مع الارباب سواء كان في الصلوات او في النذور هو من التقوى التي بها نجاح الخاصة والبلاد وعكسها هو الشقاء الذي به تثل عروش الممالك وتندك معالم العمران) يقول كسينوفان في آخر كتابه الفروسية ان الارباب لا يرضون عمن يفزعون اليهم في حاجاتهم فقط بل يرضون عمن يكرمهم في بحبوحة النجاح . فالديانة كانت بادي بدء عبداً وميثاقاً فكان اليوناني يسعى في استرضاء الارباب و ينال من لدنهم مقابلة ذلك منافع ومغانم قال احد كهنة ابولون لمعبوده « اني قد احرقت من اجلك ثيراناً سمينة منذ زمن طويل فاقبل الآن نفاعاتي وارم بسهام غضبك اعدائي »

الاعياد العظيمة — زعم اليونان ان لاربابهم احساساً وعواطف كعواطف البشر ولذلك عنوا بالقيام بكل ما يسترضي به الانسان فكانوا يقدمون لهم لبناً وخمراً محلواة وفاكهة ولحماً وينشئون لهم قصوراً ويحتفلون اكراماً لهم باعياد اذ كانت تلك المعبودات ارباباً سعيدة تحب الفرح والمناظر الجميلة . وما كان العيد كما هو الحال عندنا اليوم عبارة عن افراح بل كان احتفالاً دينياً يضرب في خلاله عن الاعمال وتأخذ الامة في ابداء مظاهر المسرة على رؤوس الاشهاد امام المعبود . فمن ثم كان اليوناني يسر بهذه الاعياد ويحتفل بها اجلالاً لاربابه ومعبوداته لا قياماً باهوائه الخاصة وشهواته . جاء في نشيد قديم اكراماً لمعبود ابولون ان الايونيين يدخلون المسرور عليك بما يقومون به من مطاعنتهم المعبودة وغنائهم ورقصهم .

الالعاب الاحتفالية — نشأت الالعاب الاحتفالية من هذه المسليات التي كانت تقام اعظاماً للارباب فكان لكل مدينة ضرب من ضروبها تكرم بها معبوداتها وما كانت في العادة تقبل لمشاركتها بها غير ابناء وطنها ومع هذا فقد كانوا يقومون بالعاب يشترك بها جماع ابناء يونان ويحضرونها وذلك في اربعة اماكن من البلاد اليونانية . وتدعى الالعاب الاربعة العظيمة واخص تلك الالعاب العاب اولمبيا . يحتفل بها كل اربع سنين اكراماً للمعبود زيوس وتدوم خمسة ايام او ستة فيأتي دعماء اليونان من اطراف البلاد تغص بهم الملاعب والمشاهد ويأخذون في تقديم الضحايا والتقرب بالصلوات الى المعبود زيوس (الشمس ؟) وسائر الارباب ثم يتبارى القوم في الاعمال الآتية : عدو على الاقدام حول الملعب . قتال يعرف عندهم بالبانكراتل لانه كان عبارة عن خمسة العاب فيقفز المتبارون ويركضون من طرف الملعب الى طرفه الآخر ويقذفون الى بعد بطارة من معدن ويرمون الحراب ويتقاتلون بالايدي والابدان . ثم ملاكمة بجمع الاكف يتقاتلون فيها واذرعهم مستورة بسيور من جلد . ومسابقة عجلات كانت تجري في الميدان والعجلات خفيفة يجرها اربعة جياد ويصدر القضاة في الالعاب بالبستهم القرمزية وقد تتوجوا باكاليل الغار فينادي المنادي بعد القتال باسم الظافر واسم بلده على رؤوس الاشهاد ويكافأ بتاج من الزيتون جزاء ما وفق له ويستقبله مواطنوه استقبال الظافر الفاتح وربما خرقوا خرقاً في حائط ليمروا به منه فيقبل نقله مركبة تجرها اربعة من الجياد لابساً القرمزي والشعب كله يخفره . كان يعد هذا النصر الذي نعده اليوم من اعمال المصارعين في المحال العامة من احسن الاعمال واولاها على ذاك العهد يحتفل بها اعظم الشعراء ولم يكن هم بيندار اشهر شعراء الاغاني القدماء غير نظم المقاطيع في سباق المركبات . ويروى ان احدهم واسمه دياكوراس رأى في يوم واحد ولدين له وقد توجا فحملاه على اعين القوم حمل الظافرين فلما شاهد الشعب ان امثال تلك السعادة عظيمة جداً بالاضافة الى الميت ناداه : مت ياديا كوراس اذ ليس في وسعك ان تكون بعد معبوداً . فضاق ذرع دياكوراس من الاضطراب ومات بين ايدي ولديه وفي نظره ونظر ابناء يونان ان رؤية ولديه واكفها قوية شثنة وسوقها سريعة كان ذلك منتهى السعادة الارضية . وعلى هذا يحق لليونان ان يعجبوا بالقوة الطبيعية فقد كان اقوى المصارعين من احسن الجند في الحروب التي يتقاتلون فيها جسداً لجسد .

القأل — كان اليونان يرجون من آلهتهم اعمالاً كبيرة لقاء تلك الواجبات والاعياد والاحتفالات فكانت المعبودات تحمي عبدتها وتسبغ عليهم برود العافية والغنى والنصر وتقيهم المصائب والنوائب التي يتوقعون نزولها ترسل علامة من لدنها يفسرها الناس . وهذا ما كان

يدعى بالفأل . قال هيرودتس كان اذا انتضى لاحدى المدن ان تتخن ببعض الخطوب يتقدمها على ذلك علامة في العادة . ولقد تفاءل اهل شيو (صاتز ؟) تفاؤلاً دلهم على ما ينالهم من الهزيمة فلم يرجع من مئة فتى بعثوا بهم الى دلفيس يترنمون و ينشدون سوى فتيين وهلك سائرهم بالوباء . وعلى ذاك العهد انقض سقف مدرسة المدينة على اطفال كانوا يتعلمون القراءة فلم ينجُ منهم سوى طفل واحد وكان عددهم مئة وعشرين . هذه هي الامارات التي قدم الارباب ارسالها على ابناء يونان تنذرهم وتبشرهم . ولقد كان اليونانيون يرون الاحلام والطيور التي ترفرف في السماء واحشاء الحيوانات التي يتقربون بها الارباب بل وكل ما يقع نظرهم عليه من الزلزال والكسوف الى عطسة يعطسها المرء — يرون كل هذه الامور الطبيعية امارات الهية فيها سعادتهم وشقاؤهم ففي حملة صقلية بينا كان نيسياس القائد الآثيني يركب جيشه المنهزم في السفن اوقفه خسوف القمر فظن ان الارباب بعثت بهذه العجيبة تنذر الآثينيين ان لا يقوا ما بدأوا به من الاعمال الحربية فاضطرّ نيسياس الى الانتظار سبعة وعشرين يوماً وهو يقدم القرابين تسكيناً لغضب الارباب . فمدة الاعداء في هذه الفترة ميناء المدينة وحطموا اسطولها و بددوا شمل جيشها . ولم يرَ الآثينيون لما بلغهم هذا النبأ سوى امر واحد نجوا من اجله نيسياس وذلك انه كان عليه ان يعرف ان اختفاء القمر بالنظر الى جيش منهزم علامة حسنة . وفي غضون العودة المعروفة بعودة العشرة آلاف خطب القائد كسينوفون في جنده فلما انتهى الى هذه العبارة : « لنا الامل الوطيد ان نرجع والمجد الينا بمونة الارباب » عطس احد الاجناد على الاثر فاخذ الجيش يصلي و يضرع الى الرب علي ان يبعث فم هذا الفأل فهتف كسينوفون : الا فلتنذر بتقديم ضحايا لزيوس اذ بعث الينا ما نتفاءل به بينا نحن نتفاوض في سلامتنا .

هاتف الغيب — كان الرب في الاحايين يجيب سؤل من يدعوه و يستشيره من المؤمنين لا باشارة صماء بل على لسان احد الملهمين من علية الناس فيأتي القوم مزار رب ينشدون اجوبة يتلقونها ونصائح يستنصحون بها وهذا هو معنى الهاتف بالغيب . وانك لترى في اماكن كثيرة من بلاد اليونان وآسيا جملة صالحة من الهاتفين بالغيب واشهرهم سبعة دودون من بلاد ابيروس ودلفيس في سفح جبل البارناس فكان الرب زيوس في دودون يجيب دعوة المضطرين بدوي اشجار البلوط المقدسة والرب ابولون كان المستنصح في دلفيس وكان يسري في مغارة من معبده من شق التراب مجرى نسيم ظن اليونان ان الرب بعث به لانهُ ما استنشقه انسان الا وخرف وجن ولذا وضعوا أثفية على شق الارض وهي عبارة عن امرأة (بيثيا) فتجلس على تلك الأثفية بعد ان تستحم في حمام مقدس وتقبل الالهام

فما هو الاّ ان يأخذها شيء من البحران العصبي حتى تبدأ تصرخ اصوات وتتفوّه بكلمات منقطعة فيتلقاها منها كهنة يجلسون حولها فينظمونها شعرًا ويقصونها على من جاء يستنتج فكان هتاف الغيب من بين هذه مشوّشًا ملتبسًا . ولما سألها كريزوس عما اذا كان يجب عليه ان يشهر على الفرس حربًا اجابته بقولها (ان كريزوس يدمر مملكة عظيمة) ثم ان مملكة عظيمة تقوّضت اركانها ولكنها كانت مملكة كريزوس . وكان للاسبارطيين ثقة عظمى باليوسيا ولم يكونوا يسيرون حملة لهم دون استشارتها وقد اقتدى بهم سائر اليونانيين وهكذا اصبحت دلفيس مبعث الهاتف الوطني .

الامفكتيونيا — ألف اثنا عشر رجلاً من اعيان الشعوب اليونانية جمعية سموها الامفكتيونيا حبًا بحماية قبر دلفيس فكان يجتمع نوّاب هذه الشعوب كل سنة في دلفيس للاحتفال بعيد ابولون وللنظر فيما اذا كان المعبد يخشى عليه من مدّ يد الاذى لانه كان فيه ثروة عظيمة ربما تدعو اللصوص ان ينهبوه . وقد صادر اهل سيرا وهي المدينة القريبة من دلفيس هذه الكنوز الثمينة في القرن السادس فاعلن عليهم اولئك الاعيان المشار اليهم حرب من استباح الامور المحظورة وخرق سياج المقدّسات فأخذت سيرا وهدمت من اساسها وبيع سكانها بيع الرقيق واصبحت ارضها كأن لم تغنَ بالامس .

ومع هذا فلا ينبغي ان يذهب ذاهب الى ان مجمع الامفكتيون اشبه في وقت من الاوقات مجلسًا يونانيًا . بلى انهُ لم يعنَ الاّ بمعبد ابولون لا بالشؤون السياسية وما قط ضرب على ايدي شعوب الامفكتيون حتى لا يثيروا بينهم دواعي الشقاق فالهاتف الغيبي والامفكتيونيا في دلفيس كان لهما من السطوة حظ اوفر من سطوة الهاتفين والامفكتونيين ولكنهُ ما ضم قط اشتات اليونانيين وجعلهم امة قائمة برأسها

اسبارطة

شعبها

لاكونيا — لما هاجر اهل الجبال من الدوريين شبه جزيرة المورة نزلت اعظم عصابة منهم في مقاطعتي اسبارطة ولاكونيا ومقاطعة لاكونيا وادٍ ضيق يشقه نهر عظيم يعرف بالاوروتاس يحيط بهما جبلان عظيمان غطيت قممها بالثلوج وقد وصفهما احد الشعراء بقوله : « ايتها الارض الغنية التربة المخصبة الرياض المتعذر استباتها واستثارها ايتها البلدة الجوفاء المحصورة بين جبال قائمة الكثيبة في منظرها المنيعة على هجمات الباحثين » وقد عاش الدوريون من الاسبارطيين في هذه البلاد الحصينة بين ظهراني سكانها القدماء فاصبح بعضهم

رعايا لهم وفريق منهم عبيدهم وموالهم وبهذا انقسم سكان لاكونيا الى ثلاث طبقات وهم الهيلوتيون والبيريكيون والاسبارطيون .

الهيلوتيون — سكنت هذه الطبقة من السكان اكواخاً منتشرة في الفلاة واقاموا على حرث الارض وزراعتها وما ملكوا الا راضي التي كانوا يعملون فيها ولم يكونوا مطلقين في مغادرتها وما كان حالهم في ذلك الا حال عبيد القرون الوسطى مستأجرين تابعين للارض خلفاً عن سلف عاملين لمالكها الاسبارطي وكان يتناول منهم افضل قسم من غلاتهم . ولطالما احتقرهم الاسبارطيون وحاذروا بأسهم واساءوا معاملتهم واضطروهم الى لبس ثياب غليظة وضربوهم بلا داع ليذكروهم انهم عبيد ارقاء . وربما اسكروهم في الاحايين لينفروا ابناءهم من السكر . وقد شبه احد شعراء اسبارطة الهيلوتيين «بحمر موتورة تكبو وتنوء تحت اعباء الاحمال واعياء الضرب »

البيريكيون — سكنت هذه الفئة مئات من القرى في الجبال او على الساحل وألفوا الاسفار البحرية واتجروا وصنعوا المواد الضرورية للحياة فكانوا احراراً يديرون شؤون مزارعهم بيد انهم كانوا يؤدون ضريبة لحكام اسبارطة ويخضعون لهم .

حالة الاسبارطيين — ابغض الهيلوتيون والبيريكيون ساداتهم الاسبارطيين . يقول كسينوفون لم يكن لاحدهم عند ما تكلم في شأن الاسبارطيين ان يكتم مبلغ سروره لو تسنى له ان يأكل الاسبارطيين احياء . زلزلت اسبارطة ذات يوم وكادت تتداعى اركانها فما كان باسرع من البرق حتى انهال الهيلوتيون من اطراف الفلاة ليقتلوا الاسبارطيين الناجين من الهلاك . ثم انتقض البيريكيون وابوا الخضوع . على ان الاسبارطيين كانوا من سوء السلوك بحيث يستحقون سخطهم . ولقد أمر الاسبارطيون عقيب حرب اشترك فيها كثير من الهيلوتيين في معسكراتهم ان ينتقوا من اشتهر منهم بالشجاعة ووعدوهم ان يعتقوهم وكان هذا الوعد منهم حيلة ليعرفوا بها اشجعهم نفوساً واجراهم على ابداء نواجذ الثورة فانتخب ألفان منهم طافوا بهم ارجاء المعبد متوجة رؤوسهم اشارة الى الحرية ثم ادخلهم الاسبارطيون في خبر كان ولم يعرف احد كيف هلكوا على حين كان المضطهدون عشرة اضعاف مواليهم وما قط رنا الاسبارطيون على تسعة آلاف رب أسرة يقابلهم مائتا الف من الهيلوتيين ومئة وعشرون الفاً من البيريكيين واقتضى ان يعادل واحد من الاسبارطيين عشرة من مواليهم في مسائل القتل واذ اعتادوا المصارعة قضت الحال بان يكون افرادهم اقوياء اشداء فكانت اسبارطة معسكراً لا جدار له وكان شعبها جيشاً على قدم الدفاع ابداً

التربية

الاولاد — يؤخذ اطفال هذه الامة منذ ولادتهم ليكون منهم اجناد فكل مولود يؤتى به امام المجلس فاذا وجد انه ضعيف اشوه يعرضونه على مجلس لان احوالهم اوجبت ان لا يكون جيشهم مؤلفاً الا من ارباب القوة والجلادة فمن يستحيونهم يؤخذون من اهلهم في السابعة من عمرهم ويربون مع اقرانهم كأنهم اولاد جماعة فيرون عارية اقدامهم ولبس على ابدانهم غير رداء واحد هو وقايتهم صيفاً وشتاء وينامون على كدس من القصب ويغتسلون في المياه الباردة من نهر الاوروتاس ويقللون من الطعام ويزدردون كثيراً واطعمتهم غليظة ليعتادوا ان لا يملأوا معدهم . ويقسمون الى سرايا كل سرية مئة رجل ولكل منها زعيم . وكثيراً ما يريدونهم على التطاعن بالارجل والاكف . ويباطون في عيد ارتيميس حتى تسيل دماؤهم امام هيكله وربما مات بعضهم متأثراً من الضرب على انهم قلما يستغيثون فيرون الشرف ان لا يرفعوا اصواتهم يريدون بذلك تدريبهم على ان يقتلوا ويحتملوا العذاب والالم . وكثيراً ما يمنعون عنهم الطعام بتاتاً فيسرقون ما يقتاتون به فاذا خدعوا يضربون بالسياط ضرباً مبرحاً . وكان من احد اولاد الاسبارطيين كما قيل وقد سرق ثعلباً صغيراً وخبأه تحت ثوبه ان آثر جعل بطنه فريسة للثعلب ينهشه على افتضاح امره واظهار فعلته . وكان يراد تدريب هؤلاء الاطفال على حسن التخلص في الحروب فيسيرون غاضين ابصارهم ساكتين وايديهم تحت ثيابهم لا يلتفتون يمنة ولا يسرة كأنما على رؤوسهم الطير امام اضياكل وكان عليهم ان لا يتكلوا على الطعام ويطيعوا كل من يلقونهم وذلك لكي يخضعوهم للنظام .

البنات — اما سائر اليونانيين فيحجبن بناتهم في البيوت ويشغلنهم بحياكة الصوف . اراد الاسبارطيون ان يقووا اجسام نسائهم ويجعلنهم من المقدرة بحيث يلدن الاقوياء من الاولاد فمن ثم كانوا يربون البنين على غرار البنات الا قليلاً . ولقد كانوا يقترنون في رياضاتهم على الركض والقفز ورمي الاطر والطعن بالحراب . وقد وصف شاعر ألعاباً كانت فيها البنات كالهارى مسترسلة شعورهن والغبار ثائر وراءهن وقد اشتهر من امرهن انهن كن يسمين نساء يونان واشجعهن .

التهذيب — حياة الرجال منظمة ايضاً كحياة الجند اذ قضت الحال ان لا تنثني عزائمهم امام جيوش الاعداء فيكون الاسبارطي في السابعة عشرة من سنه جندياً ويظل كذلك الى الستين . فكانت الازياء وسائر القيام والطعام والرياضات محددة معروفة بنظامات كما هو الحال في تكنة الجند اليوم . فاذا لم يحارب الاسبارطي يستعد للحرب فيمرن نفسه

على العدو والقفز وحمل السلاح ويروض كل حين عامة اطراف جسمه من عنقه وذراعيه وكتفيه وساقيه . ولا يحق له ان يتجر ولا ان يحترف ولا ان يحرث ارضاً فهو جندي وليس عليه ان يحيد عن مهمته بمحاولة اي عمل كان . وليس له ان يعيش في أسرته على هواه فان الاسبارطيين يتناولون الطعام زمراً زمراً ولا يخرجون من بلادهم الا باذن وهذا يعد من باب تنظيم جيش في ديار العدو

الايجاز في الكلام — قاسى هؤلاء اخطاربون شظف العيش فكانت سجناتهم صفيقة نقرأ فيها العجب والخيلاء وكانوا يختزلون الكلام اختزالاً . وهذا ما يسمى بالكلام الموجز وبالافرنجية (لا كونيك نسبة لمقاطعة لا كونيا وقد بقي منها هذا التعبير) . فكانت الحكومة تبعث الى جامية على خطر من مباغتة العدو لها برسالة لا تكتب فيها سوى كلمة (الخذر) وقد اخطر ملك الفرس جيشاً اسبارطياً ان يطرح سلاحه فاجابه القائد « تعال خذه » ولما استولى زاندر على آثينة لم يكتب سوى هذه الجملة « سقطت آثينة » .

الموسيقى والرقص — كانت الاشغال الاسبارطية صنائع حربية بجيش . حمل الاسبارطيون معهم ضرباً من الموسيقى خاصة بهم كانت على جانب عظيم من الوقار والحماسة والكراهة في الاسماع وهي من ضروب الموسيقى العسكرية . فيروح الاسبارطيون الى ساحة الوغى على نغمات المزمار ويسيرون على الايقاع . ورقصهم عبارة عن استعراض قائد لجند فيرقص الراقصون الرقص العسكري المألوف ببلاد يونان المدعو بالبيريك مسلحين ويتابعون عامة حركات القتال ويشيرون بالضرب والكر والفر والطعن بالحراب .

بأس النساء — عرف النساء بتحميس الرجال على القتال واشتهرت آثار شجاعتهن في يونان فكتبت فيها المصنفات . وقد قتلت امرأة اسبارطية ولدها لفراره من الزحف قائلة « ان نهر الاوروتاس لا يجري ليشرب منه الوعول » ولما علمت احدى نساء تلك البلاد ان خمسة اولاد لها هلكوا قالت ليس هذا ما اسأل لكم عنه فهلا كتب النصر لاسبارطة فلما اجيبت بالايجاب قالت اذاً فلتحمد الآلهة ولتشكر لهم » .

الترتيبات

الملوك والمجلس — للاسبارطيين اولاً كما لسائر ابناء يونان ملوك ومجلس شيوخ ودائر ندوة وقد حفظت كل هذه الترتيبات ولكن من حيث الصورة فقط . فالملوك وهم من نسل المعبود هيراكليس يشرفون ويكرمون وهم حق التصدر في المواضع الاولى في المآدب ويقدم لهم من الطعام ما يكفي اثنين واذا مات احدهم يلبس جميع الرعايا عليه الحداد . بيد انهم لم يتركوا لهم ادنى حكم بل يراقبونهم كل المراقبة . وكان مجلس الشيوخ مؤلفاً من

ثمانية وعشرين شيخاً منتخبين من العيال الغنية القديمة يقومون بما ندبوا اليه مدى الحياة ولكنهم لا يحكمون .

المفتشون — ان المفتشين (افور) هم السادة الحقيقيون في اسبارطة وهم خمسة حكام يتجدد انتخابهم كل عام و يناط بهم تقرير السلم والحرب وفصل القضايا . وهم يرافقون الملك في قيادة الجيش فيديرون حركة الاعمال الحربية وكثيراً ما يريدونه على الرجعة من الحرب وهم في العادة يستشيرون اعضاء مجلس الشيوخ و يقررون ما ينبغي بالفاق آرائهم ثم يجمعون الاسبارطيين في احدى الساحات و يطلعونهم على ما تم من القرار و يطلبون اليهم ان يصدقوعليه اما الامة فانها تستحسن ما تم بالهتاف دون ان تناقش في اقل مسألة . ولا يعلم فيما اذا كان للامة الحق ان ترفض ما قرر وهي التي علمت الخضوع وان لا تعاند اصلاً . وكانت هذه الحكومة حكومة اشراف مؤلفة من عدة أسرات حاكمة . فمن ثم لم تكن اسبارطة بلاد مساواة وكان فيها اناس يدعون اهل المساواة وذلك لانهم كانوا سواء فيما ينعم اما غيرهم فيدعون المرؤوسين ولم يكن لهم شيء من الحكم البتة .

الجيش — بفضل هذه الطريقة في الحكم احتفظ الاسبارطيون باخلاقهم الجبلية القاسية فلم يكن عندهم نقاشون ولا مهندسون ولا خطباء ولا فلاسفة بل انهم انصرفوا كلهم الى الحروب رحذقوا علم الكر والفر اتما حذق وغدوا من المتفننين لغيرهم من اليونانيين واتوا العالم بعملين عظيمين احسن طريقة في القتال واحسن طريقة في التدريب .

المسلحون — كان اليونان قبلهم يسيرون الى القتال بغير انتظام فيتخطى الزعماء صهوات الخيول او عجلات خفيفة و يتقدمون صفوف الحملات والناس يتبعونهم مشاة وقد تسلح كل منهم كما اراد وقد تفرقوا طرائق قدداً وليس في وسعهم ان يكونوا يداً واحدة في العمل او المقاومة . وما هو الا ان يستحيل القتال الى مبارزات ثم الى مذابح . اما في اسبارطة فالمقاتلة باجمعهم سلاح واحد وكانت وسائل دفاعهم درعاً يغطي النصف الاعلى والخوذة تقي الرأس والمساعي (الطاقات) تقي الساق والتروس تجعل في مقدمة الجسد . اما وسائل هجومهم فسيف قصير ورمح طويل . ويسمى المسلح على هذه الصورة باسم ابوليت . والمسلحون من الاسبارطيين مقسومون الى كتائب وسرايا وفرق وشراذم على مثال ترتيب جيوشنا لهذا العهد الا قليلاً . فكان الضابط يقود احدى هذه العصابات و يبلغ رجاله اوامر الرئيس بحيث انه يتأتى للقائد العام ان يوجه حركة الجيش كله . وهذه الطريقة التي نراها سهلة هي بالنسبة لليونان ابداع عجيب .

صفات الجيش — متى بلغ الجند مقدمة الاعداء يأخذون مصافهم ويكون في العادة

على ثمانية صفوف تتقارب بين بعضهم من بعض مؤلفين من جموع متكاثفة تدعى جحافل ومصافاً ويقدم الملك وهو قائد الجيش عنزة على سبيل النذر للارباب واذا تفاءلوا باحشاء الذبيحة تفاؤلاً حسناً يبدأ جماعة من الجند يرددون لحناً وعندئذ تهتز صفوفهم فيباغتون اعداءهم مسرعين على الايقاع ونغمات المزمار والريح يعلو والترس على الجسد فيحملون عليهم وصفوفهم متراصة فينكسون اعلامه بجموعهم ووثوبهم ويهزمونه ويقفون حالاً لئلا يقطع مصافهم وانه ليتسنى لكل جندي ان يحمي اخاه مادام سير الجيش كتفاً الى كتف فيكون بذلك كالبنيان المرصوص يتعذر على العدو ان يجد الى خرقه سبيلاً . نعم ان هذه التعبئة كثيفة في ذاتها ولكنها تكفي لغلبة جيش مشوش وقلما يقاوم ناس متفردون مثل تلك الجموع ولقد فهم سائر اليونان هذا الامر فاقتدوا جميعهم بالاسبارطيين ما ساعدتهم المكنة فكان جندهم حيثما حلوا مدججين بالسلاح وقاتلوا بجحافل وكتائب متراصة .

الرياضة الجسمية = اقتضى تدريب رجال خفاف اقوياء لتتسنى مهاجمة العدو في مثل تلك الصفوف وتكسيس اعلامه لاول وقعة فكان على كل جندي ان يحسن البراز والصراع فمن ثم رتب الاسبارطيون الرياضات البدنية واقتدى بهم سائر اليونانيين فاصبحت الرياضة عملاً من اعمال الامة كافة . واكثر اعمالها اعتباراً ما يكمل صاحبه في الاعياد العظيمة . عرفت احدى المدن في البلاد النائية بين برابرة الغول او البحر الاسود وثبت انها يونانية اذ كان لها ملعب للاعمال الرياضية . وكان هذا الملعب قطعة مربعة عظيمة تحيط بها اروقة او دهاليز وهي في الاغلب على مقربة من نبع وله حمامات وقاعات للتمرين . فيحضر السكان الى ذاك المكان للتنزه والمحادثة فهو اشبه بنادٍ وكان الفتيان يقضون في هذا الملعب عامين على الاقل يختلفون اليه كل يوم يتعلمون القفز والركض ورمي الاوطار وضرب الحراب ويتبارعون بوسط الجسد لتقوية العضلات والجلد وينغمسون في الماء البارد ويطلون ابدانهم بالزيت ويتمسحون بمسحة .

المصارعون = معظم الاسبارطيين يقضون عامة حياتهم في ممارسة هذه التمرينات لإباء ومروءة فلا يعتمون ان يصبحوا مصارعين وقد وفق بعضهم الى ان تمت على ايديهم خوارق ويقال ان ميلون من مدينة كروتون في ايطاليا كان يحمل ثوراً على كتفيه ويوقف عجلة وهي راكضة بان يمسكها من خلفها . ولقد كان هؤلاء المصارعون يخدمون في الحروب خدمة الاجناد وكثيراً ما يقومون بقيادة الزحوف وبهذا صح قولنا ان الرياضات البدنية بمثابة تدريب على الحرب .

اعمال الاسبارطيين = تعلم الاسبارطيون من اليونانيين الترويض والقتال وجاءهم

مصارعون اقوياء اشداء وجند منظم وعرفوا بهذه المزية في بلاد اليونان وكانوا من اجل ذلك يحترمون في كل مكان . ولما قضي على سائر الشعوب اليونانية ان تقاتل الفرس مجتمعة تحت راية واحدة لم يستنكفوا من اتخاذ الاسبارطيين زعماء . قال خطيب آثيني وكان هذا الامر بحجة صحيحة واستحقاق تام .

أ لكني ياضياء

أ جدك يا كواكب لا تُرينا ... بيانًا منك يخبرنا اليقينا
كأن العالم العلوي سفرٌ ... نطالعهُ ولسنا مفصحينا
نحاول منهُ اعراب المعاني ... بتأويل فترجع معجمينا
كواكب في المجرة عائمات ... حكت في بحر فسحتها السفينا
سترت زهر النجوم وما دراها ... فلاسفة مضت ومنجمونا
شموس في السماء علت وجلت ... فظنوا في حقيقتها الظنونا
سوابح في الفضاء لها شؤون ... ولما بعلموا تلك الشؤونا
وما ارتجفت بجنح الليل إلاّ ... لتضحك فيه مما يزعمونا
لعلّ لها بهذا الجوّ شأنًا ... سوى ما نحن فيه مرجمونا
تلوح على الدجى متلألئات ... فتبهج في تلألؤها العيونا
وأنى يدرك الرائي مداها ... وان ألقى لها نظرًا شفونا
ترد الغانيات اذا رأتها ... لو انتظمت لها عقدًا ثمينا
تقلده على اللبات منها ... وتطرح الدمالج والبرينا

***

أ لكني باضياء الى الدراري ... رسالة مسهر فيها الجفونا
لعلك راجع منها جوابًا ... يزيل غمامة المتحيرينا
فقل اني تحير فيك فكري ... كذاك تحير المتفكرونا
فيا أمّ النجوم وانت أمّ ... ايولد فيك كالارض البنونا
وهل فيك الحياة فما وجود ... فيمكن للردى بك ان يكونا
وهل بك مثل هذي الارض ارض ... وفيها مثلنا متخالفونا
وهل هم مثلنا خلقًا وخلقًا ... هناك فيأكلون ويشربونا